إنسانيات ١٧

فن الموت

تصورات الموت في القرن الحادي والعشرين

ترجمة عربية كاملة بناء على اتفاق قانوني ملزم للطرفين مع ناشر الأصل الأجنبي للكتاب.

First published in English under the title:
The Art of Dying
21st Century Depictions of Death and Dying
Edited by: Gareth Richard Schott
Copyright © Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited, 2023.
This edition has been translated and published under licence from Springer Nature Limited.
Springer Nature Limited takes no responsibility and shall not be made liable for the accuracy of the translation.
To be reproduced exactly as it appears in the original work.

فن الموت

تصورات الموت في القرن الحادي والعشرين

تحرير

ريتشارد شوت

ترجمة

أحمد موسى

تحرير وتقديم

عماد العادلي

RED SEA

البحر الأحمر

فـن المـوت

تصورات الموت في القرن الحادي والعشرين

تحرير: جاريث ريتشارد شوت

ترجمة: أحمد موسى

تحرير وتقديم: عماد العادلي

الطبعة الأولى – القاهرة 2026

رقم الإيداع: 32778/ 2025

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 8836 - 74 - 5

المقاس: 14.5 × 21.5.

عدد الصفحات: 384.

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مكتبة البحر الأحمر».

مكتبة البحر الأحمر

42 ش ماري جرجس– مجمع الأديان – المنطقة السياحية – مصر القديمة – القاهرة.

هاتف: 0020227412286

محمول: 00201144418191

www.redseabookstores.com

E-mail:info@redseabookstores.com

السلسلة:

سلسلة تُعنَى بترجمة دراسات رصينة وجادة في حقول شتى من العلوم الإنسانية، مثل التربية وعلم النفس وعلوم الاجتماع والسياسة والجغرافيا والتاريخ والاقتصاد.

تقوم الدار باختيار الجديد الصادر عن كبرى دور النشر العالمية المتخصصة التي نعرف عنها شروطها التحكيمية المدققة في النشر والدقة العلمية الممتازة لمستشاريها من أساتذة الجامعات في أرقى جامعات العالم.

نرحب بترشيحات الباحثين لكتب أو دراسات جديدة ظهرت في حقل الإنسانيات، كي نترجمها إلى لغتنا العربية. نستهدف بكتبنا الجمهور العريض من القراء والأسر العربية.

المشاركون في الكتاب:

المحرر: ريتشارد شوت

أستاذ علم النفس الإعلامي في جامعة وايكاتو بنيوزيلندا. متخصص في دراسات الشاشة والإعلام. مهتم بالتأثير النفسي للوسائط الإعلامية، ودور وسائط الإعلام الإبداعية في استكشاف النواحي النفسية والمعرفية للإنسان. عني طوال مسيرته البحثية بالطريقة التي يُبنى من خلالها الشعور الفردي بالذات. له اهتمام بحثي خاص بقياس الشعور بالذات لدى المراهقين adolescent sense of self بوصفه مفهومًا علائقيًا relational concept، كما عني ببحث كيفية تمدد الذات عبر الإنترنت،

من خلال التقنيات الشبكية والصور الرمزية (الآڤاتار) avatars، وصولًا إلى اهتمامه الحالي بالذات البعدية؛ إذ تعكس الذات البعدية السُّمعة والذكريات والتخليد و"حضور" الفرد عقب الموت. استوحيت مجموعة الأعمال هذه من النطاق المتزايد لما رصده من ممارسات تخليد الذكرى عبر الإنترنت (أون لاين) memorialisation practices online وخارجها (أوف لاين) off line، والتي تعكس حاليًا البناء المشترك للذات البعدية المتصلة بالمتوفى والثكالى.

المترجم: أحمد محمود موسى

عضو هيئة التدريس بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة سوهاج.

حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية لعام ٢٠١٨، وجائزة الترجمة العلمية من المركز القومي للترجمة لعام ٢٠١٩.

له عدد من الكتب المؤلفة، كما ترجم عددًا من المؤلفات النفسية المتخصصة عن اللغة الإنجليزية، غالبتها عن المركز القومي للترجمة. كما شارك في ترجمة القاموس الموسوعي في العلوم النفسية والسلوكية والطب النفسي؛ الصادر عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس، عن المركز القومي للترجمة، ٢٠١٨.

معني بتبسيط الثقافة العلمية، وله في هذا الشأن كتابان، هما: الطفل الأشول (سلسلة كتاب اليوم الطبي، دار أخبار اليوم)، والهرمونات والسلوك البشري (سلسلة اقرأ العلمي، دار المعارف).

المحرر: عماد العادلي

مواليد القاهرة ١٩٧٤.

حاصل على ليسانس الآداب قسم الدراسات الفلسفية جامعة عين شمس، وليسانس الحقوق من نفس الجامعة.. وكانت دراساته العليا في تخصص الفلسفة الإسلامية بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة.

عمل في مجال الصحافة في الفترة من عام ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٩.

شغل منصب المستشار الثقافي بمؤسسة "أ" الثقافية في مصر في الفترة من ٢٠٠٩ وحتى ٢٠١٩.

يشغل منصب المستشار الثقافي ومدير الفعاليات بنقابة أطباء مصر منذ ٢٠٢١ وحتى الآن

كما يعمل مستشار التحرير ومدير النشر بمؤسسة غايا الإبداعية.

تتمثل تجربته الأهم في مجال الفلسفة في إنشائه النشاط الثقافي "الرواق الفلسفي" وذلك منذ عام ٢٠١٧ وحتى اليوم، يهتم فيه بتقديم مبسط لمبادئ ونظريات الفلسفة للجمهور العام غير المتخصص مع محاولة ربطها بالحياة المعاشة.

تجوب تجربة الرواق الفلسفي جميع محافظات مصر ومنها القاهرة وسوهاج والإسكندرية والسويس ودمياط والمنصورة وغيرها الكثير.

له عملان منشوران في مجال الأدب النوستالجي وهما "حكايات حارس الكتب" و"الأجندة".

له إسهامه المشهود في المجال الثقافي بمصر والمتمثل في طرح ومناقشة الكتب المهمة خاصة ذات البعد الفلسفي من خلال نشاط الرواق الفلسفي وكذلك في مختلف المحافل الثقافية المصرية.

المؤلفون:

موريرا أرمسترونج Moira Armstrong

كاتبة وباحثة كما تشرف على تحرير دوريتي Call Curtain و Fusion. نشر لها قصائد شعرية في مجلات: Luna Negra و Red Earth Review و Neon Mariposa Magazine وغيرها. مهتمة برصد الخبرات المتوهجة الغريبة لصغار الشباب، منذ مرورها بخبرة الاقتراب من الموت near-death experience، وهي لا تزال بالمدرسة الثانوية.

كايل باريت Kyle Barrett

صانع أفلام حائز على جوائز ومحاضر في برنامج الشاشة والإعلام التابع لكلية الفنون بجامعة وايكاتو بنيوزيلندا. يركز بالبحث على ثقافات الإنتاج العالمية منخفضة الميزانية ودُور السينما وتمثيل الجنسين والممارسة الإبداعية. كما أخرج العديد من الأفلام الوثائقية التي عُرضت بمهرجانات دولية.

تيفاني بوديام Tiffany Bodiam

تعمل في مجال الصحة النفسية والبحث والممارسة، وتحديدًا في مجال التدخل المبكر لأكثر من عشرين عامًا. من خلال عملها في قطاع العدالة الجنائية ومراكز الرعاية خارج المنزل (OOHC) out-of-home care centers والتشرد والإعاقة والشباب المُعرَّضين للخطر youth-at-risk والصحة النفسية للشباب، حشدت فرقًا بحثية وإكلينيكية وممارسة لدمج المناحي العلاجية التي تستند إلى الصدمات، والمناحي العلاجية التي تركز على الشخص، وتلك المناحي العلاجية التي تستند إلى نقاط القوة، في سبيل رعاية ودعم بعض أكثر أفراد المجتمعات المحلية بنيوزيلندا استهدافًا للاضطراب النفسي.

ميلودي ماي Melody May

حاصلة على درجة الدكتوراه في اللغة الإنجليزية مع الإجادة والممارسة الإبداعية من جامعة وايكاتو بنيوزيلندا. تسعى من خلال أبحاثها وأعمالها الإبداعية إلى تحليل وتحديد الاتجاهات والبنى الاجتماعية، التي تستبعد الأشخاص المعرضين للتهميش الاجتماعي. مهتمة على نحوٍ خاص برصد المُثل العليا، التي تخلق توقعات حول معنى "الصحة" و"المرض". تركز أبحاثها الحالية على النساء المهمشات، وتحديدًا، عند تقاطع الإعاقة والجندر، مثلما تعكس الأفلام والأدب والكوميديا المعاصرة.

كريستين موفات Kirstine Moffat

أستاذة مساعد اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة وايكاتو بنيوزيلندا. تميل لتدريس الأدب المعاصر والأفلام. لها بحوث منشورة على نطاق واسع عن الأدب والموسيقى والثقافة في نيوزيلندا في القرن التاسع عشر، وهي مؤلفة كتاب: Piano Forte Stories and Soundscapes from Colonial New Zealand أو بيانو فورت: قصص ومناظر صوتية من نيوزيلندا الاستعمارية. تقدم مراجعة عامة سنوية على الأدب المعاصر في نيوزيلندا في مجلة أدب الكومنولث Journal of Commonwealth Literature، بالمشاركة مع مؤلفيّن آخرين، هما: "ديفيد سيمز" David Simes و"أيمي جين أندرسون أوكونور" Aimee-Jane Anderson O'Connor.

ميسي موني Missy Mooney

خبيرة مسرحية مقيمة بنيوزيلندا، ولديها خبرة في إنشاء وإخراج وأداء مجموعة متنوعة من أعمال المسرح الوثائقي. مهتمة بالاعتبارات أو المسؤوليات الأخلاقية التي قد يتحملها صُناع المسرح عند العمل مع "الكلمات الحقيقية أو التصريحات" التي أدلى بها "أشخاص حقيقيون"، ورصد كيفية تأثير ذلك في البناء الدرامي والتعبير الإبداعي لعملهم. يعتمد بحثها في المقام الأول على الممارسة الفعلية أو المستند إلى الممارسة. وتستكمل حاليًا درجة الدكتوراه في استكشاف عملية إنشاء المسرح الوثائقي اعتمادًا على مواد وثائقية متاحة مسبقًا، من مثل: الرسائل، والمذكرات الشخصية، والكتابات الشخصية عقب وفاة مُنشئ الوثيقة.

نيكولاس جيه. مون Nicholas J. Munn

فيلسوف ومحاضر في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وايكاتو بنيوزيلندا. مهتم بكيفية إدارة المجتمع ورصد أوضاع الأشخاص المحرومين داخل المجتمع النيوزيلندي. كما يركز بالبحث على الشباب والديمقراطية، وبخاصة حول الاستبعاد الممنهج للشباب، وكذلك البحث في العوالم الافتراضية، وتحديد أنواعها، وما إذا كانت تختلف عن العالم المادي، وكيف ينبغي لنا أن نتعامل مع أفعالنا داخل هذه العوالم الافتراضية.

أكيكو أوريتا Akiko Orita

تشغل منصب أستاذ بقسم الاتصالات، التابع لكلية الدراسات الإنسانية والتكافلية في جامعة كانتو جاكوين، يوكوهاما، اليابان. حصلت على درجتي: الدكتوراه والماجستير في الإعلام والحوكمة من جامعة كيو. تتركز اهتماماتها البحثية في المجالات الواسعة لمسائل الهُوية والخصوصية على الإنترنت، بما في ذلك: خصوصية البيانات اللاحقة بالوفاة post-mortem data privacy، واستخدام الذكاء الاصطناعي للمعلومات الشخصية، وتعليم محو الأمية المعلوماتية information literacy education للشباب.

إليزابيث باتون Elizabeth Paton

صاحبة مبادرة برنامج مايند فريم"Mindframe" [أو "إطار ذهني"] بمشروع إيفري مايند "Everymind" [أو "كل عقل"]، والذي يدعم التغطية الإعلامية الآمنة والسرد التصويري والتواصل بشأن الانتحار والمرض العقلي وإدمان الكحول، وغيره من المواد الإدمانية أو المخدرة. كما تقود مشروع "the Words and Images project" [أو "الكلمات والصور"]، بما في ذلك تطوير الأدلة التوجيهية والموارد القائمة على الويب، بغرض دعم استعمال الصور واللغة على نحوٍ آمن وشامل ومبشر، ويخلو من الوصم. نشرت أوراق بحثية في مجالاتٍ عدة، من مثل: منع الانتحار، والبحث والابتكار المسؤول، والإعلام، والتواصل والصناعات الإبداعية.

ديفيد سيمز David Simes

حاصل على درجة الماجستير من جامعة وايكاتو بنيوزيلندا. له عدد من القصص المصورة وبعض الكتابات حول المسرح. سبق أن نُشرت أعماله في مجلة أدب الكومنولث Journal of Commonwealth Literature، كما أشادت مجلة لاندفال Landfall بمقاله الشخصي: "أنا والسيد فوكس" Mr Fox & Me.

المحتويات

إهداء ١٦

ترنيمة على مقام "ري" منخفض الصغير ١٨

اعتراف بالفـضـل ٢٠

مقدمة ٢١

الفصل الأول: التعبير الإنساني عن الحسرة: معالجات وتأملات إبداعية ٢٥

الطقوس المتصلة باليقين والراحة ٢٨

التعبير الصوتي عن الفقدان (أو إثباته) ٣٣

تخليدًا للذكرى والذات البَعدية ٣٩

الفصل الثاني: التجليات "الإبداعية" للحسرة في الفيلم الوثائقي: "قلب كلب"، و"دِك جونسون في عداد الأموات" ٥٧

توثيق الحياة: المادة الخام للأفلام المنزلية ٥٩

التناول الوثائقي للموت ٦٣

الموت والكلب ٦٨

تناول الأفلام الوثائقية لخبرة الاقتراب من الموت ٧٦

الفصل الثالث: الانتحار الوسائطي في مسلسل "ثلاثة عشر سببًا": مزاعم تحذر من السرد التصويري التلفزيوني للانتحار ٩٣

مقدمة ٩٣

"فِرتر" و"باباجينو": شخصيتان بارزتان في تأثير الإعلام على الانتحار ٩٥

الانتحار في الإعلام مقابل الانتحار الفردي ٩٧

كيف تؤثر وسائل الإعلام على التفكير في الانتحار؟ ٩٩

السرد التصويري الخيالي للانتحار وتأثيره في المتلقين المستهدفين للانتحار ١٠٢

منصة "نتفليكس" وعرض مسلسل "ثلاثة عشر سببًا" ١٠٥
الأبعاد النفسية للمحتوى التلفزيوني الذي يتناول موضوع الانتحار..... ١٠٩
الفصل الرابع: الحضور الزائل: تسخير المرونة الزمنية في فن المذكرات المصورة . ١٢٧
الفضاءات الفارغة "Blank Spaces" "لأندرس نيلسن" ١٣٢
فقدان البراءة: كما تتبدَّى في أعمال "باسكال جيرارد"، و"توم هارت"..... ١٤٢
أطلال وجودية Existential Ruins من خلال أعمال "كريستين رادتكه" ١٤٩
الفصل الخامس: الحساب الشخصي على مواقع التواصل الاجتماعي: رصد مقاصد الأفراد وراء تفعيله أو حذفه عقب الموت ١٦٩
مقدمة..... ١٦٩
معالجة البيانات البحثية ١٧٥
التعبير عن الحِداد على الإنترنت ١٧٧
الهُوية والخصوصية اللاحقتان بالوفاة..... ١٨٢
إجراء المسح البحثي ١٨٦
تجميع بيانات البحث..... ١٨٨
النتائج ١٩٠
مناقشة النتائج..... ٢٠١
الفصل السادس: "هل أنت بخير؟ لا، لست بخير": هل يمكن أن تساعد الرومانسية في تخفيف معاناة الموت عند الشباب الصغار المصابين بمرض خطير؟..... ٢١٣
مقدمة..... ٢١٣
الموت الحسن أو طيب الممات ٢١٦
المواعدة..... ٢١٩
نص "الخطأ في نجومنا" (٢٠١٢) "جون جرين"..... ٢٢١
نص "كل شيء، كل شيء" لـ"نيكولا يون" ٢٢٦
نص "خمسة أقدام منفصلة" لـ"راشيل ليبينكوت" ٢٣٠

نص "زاك وميا" لـ"أيه. جيه. بيتس" ٢٣٣
نص "قبل أن أموت" لـ"جيني داونهام" ٢٣٦
الفصل السابع: حال لم يكن الموت نهاية "اللعبة (الجيم)": إذن ماذا عساه يكون؟ . ٢٤٧
مقدمة ٢٤٧
هل ثمة أية أهمية تُذكَر لما نقوم به عبر الإنترنت؟ ٢٥٠
الدوائر السحرية ٢٥٢
مُعضلة اللاعب ٢٥٧
"البيرماديث" (الموت الدائم) ٢٦٦
التمعن في الموت في سياق الألعاب الإلكترونية ٢٦٩
حين "يموت" أحد العوالم [الافتراضية] ٢٧٢
متى يمكننا وصف الموت بكونه خطأ؟ ٢٧٧
الفصل الثامن: الواقع الحي للموت: تمثيلات الاحتضار والموتى في المسرح الوثائقي .. ٢٨٥
الموت بوصفه نوعًا من الزوال الحاضر في النص المسرحي: (مشروع مدينة "لارامي") . ٢٨٩
القيامة وحتمية الموت في النص المسرحي "اسمي راشيل كوري" ٣٠١
الفصل التاسع: أتراهُ أتى قبل الأوان بأوان؟ تناول الموت بوصفه كوميديا ٣١٧
دور الكوميديا في الخطاب الجاد ٣١٩
استجابة الكوميديا الارتجالية (الستاند آب) للموت والاحتضار ٣٢٤
العبارات المبتذلة وزلّات الأقدام ٣٢٥
الاتصال في وقت المعاناة ٣٣٤
اقرأ الغرفة: التوقيت وأعمال الموت ٣٣٩
الكوميديا بوصفها علاجًا: التغريد عن الموت ٣٤٣
لقد كنتم جمهورًا رائعًا: الخاتمة ٣٤٨
ثبت المصطلحات ٣٥٦
ثبت الأعلام ٣٦١

قائمة الأشكال المقتبسة

شكل ٤– ١ صورة لـ"أندرس نيلسن" بعنوان: خطيبتي "شيريل ويفر" وهي في المستشفى Hospitalised fiancé Cheryl Weaver (Nilsen 2012 p. 74). (Copyright Anders Nilsen. From 'Don't Go Where I Can't Follow'. Used with permission from Drawn & Quarterly) ١٣٦

شكل ٤– ٢ صورة لـ"أندرس نيلسن" بعنوان: "إذن، هل هذا كل شيء؟" So is this all there is? (Nilsen 2013 p. 5). (Copyright © Anders Nilsen. The End. Courtesy of Fantagraphics Books (www.fantagraphics.com). ١٤٢

شكل ٤– ٣ صورة لـ"كريستين رادتكه" بعنوان: "الثقب الصغير" Pinhole image (Radtke 2017 p. 1). (Credit Line: "illustrations" from IMAGINE WANTING ONLY THIS by Kristen Radtke copyright © 2017 by Kristen Radtke. Used by permission of Pantheon Books an imprint of the Knopf Doubleday Publishing Group a division of Penguin Random House LLC. All rights reserved). ١٥٢

شكل ٤– ٤ صورة لـ"كيرستن رادتكه"، بعنوان: "رادتكه تُجري تشريحًا للجثة" Radtke performs an autopsy (Radtke 2017 p. 124). (Credit Line: "illustrations" from IMAGINE WANTING ONLY THIS by Kristen Radtke copyright © 2017 by Kristen Radtke. Used by permission of Pantheon Books an imprint of the Knopf Doubleday Publishing Group a division of Penguin Random House LLC. All rights reserved). ١٦٢

شكل ٥– ١ التفضيلات الفردية لإدارة الأصول الرقمية (حسابات وسائل التواصل الاجتماعي) عقب الوفاة ١٩٢

شكل ٥- ٢	تباين مقاصد المرء في إدارة حساباته على منصة فيسبوك عقب الوفاة حسب العمر	١٩٢
شكل ٥- ٣	تباين مقاصد المرء في إدارة حساباته على منصة إنستجرام عقب الوفاة حسب العمر	١٩٣
شكل ٥- ٤	تباين مقاصد المرء في إدارة حساباته على منصة تويتر عقب الوفاة حسب العمر	١٩٣
شكل ٥- ٥	تكرار الاستخدام (على منصة فيسبوك)	١٩٤
شكل ٥- ٦	تكرار الاستخدام (على منصة إنستجرام)	١٩٤
شكل ٥- ٧	تكرار الاستخدام (على منصة تويتر)	١٩٥
شكل ٥- ٨	إدارة البروفايل الشخصي ومنصة الفيسبوك	١٩٥
شكل ٥- ٩	إدارة البروفايل الشخصي ومنصة إنستجرام	١٩٧
شكل ٥- ١٠	إدارة البروفايل الشخصي ومنصة تويتر	١٩٧
شكل ٥- ١١	الطريقة التي يرغب بها المشارك في التعامل مع الحساب الإلكتروني لأحد أفراد الأسرة على مواقع التواصل الاجتماعي عقب الوفاة باختلاف البلد	١٩٩
شكل ٥- ١٢	الطريقة التي يرغب بها المشارك في التعامل مع الحساب الإلكتروني لأحد الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي عقب الوفاة باختلاف البلد	١٩٩
شكل ٥- ١٣	مقاصد المشارك في التعامل مع الحساب الإلكتروني لأحد أفراد الأسرة على مواقع التواصل الاجتماعي عقب الوفاة باختلاف العمر	٢٠٠
شكل ٥- ١٤	مقاصد المشارك في التعامل مع الحساب الإلكتروني لأحد الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي عقب الوفاة باختلاف العمر.	٢٠١

إهداء

كان للموت أثر مباشر في فريق تأليف هذا الكتاب، إذ فقدنا خلال أسابيع زميلين عزيزين، هما: الأستاذ المساعد "جيف ليلاند" (١٩٤٧-٢٠٢٢)، والدكتور "دين بالينجر" (١٩٧٣-٢٠٢٢). وقد أضفى وداعهما وتشييعهما معنى أعمق لحاجتنا إلى التأملات الإبداعية والتعبيرية المرتبطة بالموت، في سياق تقبُّلنا لفناء الجسد، وفي الطرق التي نسعى من خلالها إلى استحضار ذكريات من رحلوا، واستمرار أثرهم بعد غيابهم. مثل كثير من الحالات التي ناقشتها فصول هذا الكتاب، كان "دين" قادرًا على الإسهام المباشر في هذه العملية، من خلال تأملاته الإبداعية في مواجهة تحديات مرضه: مرض العصبون الحركي[1]، الذي يتقدم تدريجيًا نحو نهاية الحياة. منذ تشخيصه عام ٢٠٢٠، انخرط "دين" في مشاريع إبداعية جسَّد فيها تجربته بأسلوب بصري بارع لا يخلو من روح الفكاهة. وبصفته فنانًا مؤثرًا وموهوبًا في مجال القصص المصورة في نيوزيلندا، فقد كرَّس سنواته الأخيرة لمجاله الفني، وترك عملًا مصورًا من المتوقع صدوره قريبًا. كما قدَّم أعماله في فعالية "بيتشا

(١) مرض العصبون الحركي (يُعرَّف اختصارًا "MND") هو مرض عصبي تنكُّسي نادر. تبلغ نسبة انتشاره ٢ من بين ١٠٠ ألف شخص. ويتسم المرض بتضرُّر العصبون أو الخلية العصبية الحركية في كلٍ من: الدماغ، والحبل الشوكي، والممرات العصبية المسؤولة عن انتقال الإشارات العصبية بينهما؛ مما يعقبه عجز المريض عن تحريك العضلات، بما يصيبها بالشلل. وخلال مسار المرض، تصاب العضلات المسؤولة عن تحريك الأطراف والبلع والنطق وحتى التنفس، وذلك على نحوٍ تدريجي، دون ترتيب ثابت. ولا يضر هذا المرض بأعضاء الجسم أو القدرات العقلية أو العضلات الداخلية كالقلب، والمثانة البولية، وغيرها [المترجم].

كوتشا"[1] عام ٢٠٢١، بمساعدة صديق مقرب. أولى علامات هذا المرض ظهرت في ضعف حركة اللسان، تلاها تشنُّج جعله غير قادر على الكلام. ومع تفاقم حالته، أصبحت رسوماته وصوته الفني وسائل بالغة الأهمية في التعبير عن تجربته الحسية والمعيشة، بما تحمله من طابع ظاهراتي، كما لعبت دورًا في التعاطي مع حالته الصحية المتدهورة.

إنني أُهدي هذا الكتاب إلى كلا الزميلين، ليس فقط اعترافًا بما قدَّماه من دعم ورفقة وكرم خلال حياتهما، بل أيضًا حزنًا عميقًا على رحيلهما. هذا الحزن الذي يوقظ فينا أسئلة وفضولًا أمام الموت، ذلك الموت الذي -ويا للمفارقة- يُعيد تأكيد معنى الحياة.

(١) العروض التقديمية "بيتشا كوتشا" Pecha Kucha قريبة في الشبه من العروض التقديمية "بوربوينت". وهي طريقة عرض تتطلب سرْد قصة باستخدام الصور بدلًا من قراءة النص من الشرائح في أثناء العرض. والعبارة Pecha Kucha تعبير ياباني يعني: اعرضْ واحْكِ أو Show and Tell. ويتسم بتركيزه على الصور لا النص. وقد صار أسلوب العرض شائعًا للغاية، لدرجة أنه أدى لإقامة أول ليلة (حدث) بيتشا كوتشا في عام ٢٠٠٣ في اليابان. والآن، تستضيف ١٠٠٠ مدينة حول العالم ليالي بيتشا كوتشا كل عام. وهي عبارة عن تجمعات غير رسمية؛ حيث يعرض الناس عروضهم التقديمية "بيتشا كوتشا" حول أي تيمة أو موضوع من الموضوعات [المترجم].

ترنيمة على مقام "ري" منخفض الصغير[1]

"دين بالينجر"

دعْ ظلي يتأرجح بين عشبة المينجي مينجي[2] وعربة القهوة

دعْ شبحي يرقص على الجزيرة المرورية

دعْ روحي تتردد عبر الوديان.

ضعْ حجر الخفاف على عيني

وغصن زهرة ميرو مقطوفة في يدي

وألقِ بجثتي من على الضفاف الطويلة المتآلفة من الحصى

إلى أعلى النهر لا أسفله

إلى أعلى عبر حِمْض التَّنِّيك والدهون

إلى أعلى عبر النقوش وزجاجات القناديل

إلى أعلى حيث الطمي والفحم الحجري

---

(١) ري منخفض الصغير: سلم موسيقي، يتألف من الدرجات الموسيقية الخمس التالية: ري، ومي، وفا، وصول، ولا، وصولا إلى ري مرة أخرى، وجميعها تُلعب بفاتيح منخفضة. وهو يقترب من مقام النهاوند الشرقي [المترجم].

(٢) تعرف عشبة mingimingi الماورية النيوزيلاندية في الأوساط العلمية كذلك باسم: Coprosma propinqua، بمعنى: "سليفة رائحة الروث"، من كلمتين ترجعان لليونانية القديمة، بحيث تعني "الروث" (kopros)، و"الرائحة" (osme)، في إشارة إلى رائحتها الكريهة. ومع ذلك، فهي نبتة مفيدة للتحوط ومصدات الرياح واستصلاح التربة. ونلحظ هنا تأثر الشاعر بحالته الصحية، وإحساسه بدنوِّ الأجل واقتراب الموت [المترجم].

إلى الصحراء؛ حيث سفوح الجبل

بريةٌ ملآنة بالأبواب

امنحني المرور إلى الغرفة

ريثما ينبثق وايكاتو-إيوي[1] [بمعنى: قبر القبيلة].

(١) وردت بالنص عبارة 'Waikato-iwi' غير الدارجة، وهي من الألفاظ الماورية النيوزيلاندية، وتعني: قبر القبيلة؛ حيث يفيد المقطع Waikato القبر، بينما يفيد المقطع الآخر iwi معنى العشيرة أو الجماعة أو القبيلة [المترجم].

اعتراف بالفضل

كتب المساهمون فصول هذا الكتاب، الذي توليت تحريره، خلال ذروة جائحة كوفيد-١٩، وكان عليهم أن يواجهوا الضغوط والغموض المرتبطين بشدَّة انتشار الجائحة وتأثيراتها. وقد أُصيب عدد منهم بالفيروس؛ مما حال دون قدرة البعض على مواصلة المشاركة في هذا المشروع العلمي. وسواء أدرجت مساهماتهم في النسخة النهائية من هذا الكتاب أم لا، فقد أظهر كل من شارك التزامًا حقيقيًّا خلال فترة كانت بالغة الصعوبة على المستويين: الشخصي والمهني.

وبوصفي المحرِّر، أُتيح لي أن أتعرف عن قرب على الظروف والتحديات الشخصية التي مرَّ بها زملائي الباحثون بشكل يفوق ما يمكن أن يحدث في ظروف العمل المعتادة. وأثناء التواصل مع كل مؤلف، لم يكن الاستفسار عن تقدُّمه في كتابة الفصل أقل أهمية من السؤال عن سلامته وسلامة أسرته ومجتمعه. ومع استمرار الجائحة، أصبح إرسال الأمنيات بالصحة والقوة لا يقل أهمية عن العمل على إنجاز هذا المشروع حتى النشر.

وأنا ممتن بصدق لكل من ساهم في هذا العمل على التزامه وتفانيه.

مقدمة

في عالمٍ يتسارع إيقاعه وتتعدد فيه انشغالات الحياة اليومية، يُقصى الموت من الحضور الفكري والتأملي، ويُدفع إلى هوامش الوعي، بوصفه أمرًا مزعجًا أو غير مناسب للحديث. ومع ذلك، فإن الموت ليس طارئًا على التجربة الإنسانية، بل هو أحد أكثر حقائق الوجود رسوخًا ويقينًا. ولأن الموت بهذه المركزية، كان من الطبيعي أن يحتل مكانة بارزة في الفكر الإنساني، والأدب، والفن، والطقوس، والأساطير، وكل أشكال التعبير الثقافي. ولكن ما يميِّز الأزمنة الحديثة هو التحوُّل الجذري في تمثلاتنا للموت، لا من حيث طبيعته فحسب، بل من حيث كيف نتحدث عنه، ونراه، ونتعامل معه.

يأتي هذا الكتاب ليخوض في هذه المساحة الملتبسة، في نقطة التماس بين الموت والتعبير الفني. لا يقدِّم الكتاب الموت بوصفه مجرَّد نهاية، بل بوصفه لحظة تموج بالتجربة الحسية، وبالتعبير، وبمعنى آخر، إنه لا يبحث عن أجوبة يقينية حول الموت، بقدر ما يحاول تأمل كيف نحاول، نحن البشر، أن نُبدع حوله، أو من خلاله، أو انطلاقًا من أثره فينا.

يتناول الكتاب موضوع الموت والاحتضار عبر وسائط معاصرة متنوِّعة، مثل السينما، والمسرح، والمذكرات المصوَّرة، والرواية، والألعاب الرقمية، ومنصات التواصل الاجتماعي. وتقوم فكرته المحورية على أن تعبيرات الحزن والفقد لم تعد حكرًا على الطقوس التقليدية أو المساحات الدينية، بل تسللت إلى وسائط جديدة، جعلت من تمثيل الموت موضوعًا مشاعًا، تفاعليًا، ومفتوحًا على احتمالات متعددة.

لا يدور الكتاب حول الموت بوصفه حدثًا بيولوجيًا فحسب، بل بوصفه تجربة ثقافية، نفسية، وجمالية. يدرس الكيفية التي يعيد بها الإنسان الحديث إنتاج معنى الموت، من خلال ما يبدعه من سرديات وصور وممارسات، سواء كان ذلك عبر فيلم وثائقي، أو منشور رقمي، أو عمل فني. في هذا المعنى، يقدِّم الكتاب تأملًا في الطريقة التي نعيش بها الحزن، ونحزن بها، ونُعيد بها تشكيل ذاكرتنا عن من فقدناهم.

يولي الكتاب أهمية خاصة لما يسميه البعض "محو الأمية تجاه الموت"، أي القدرة على الحديث عن الموت بصدق، وبتعاطف، وبلا مواربة. فالعديد من الثقافات الحديثة، نتيجة لمزيج من التطورات التقنية والاقتصادية، قد دفعت بالموت خارج مجال الرؤية. الموت لم يعد يُرى، لقد صار يُدار بشكل معين عن طريق مجموعة من الأشخاص ذوي الخبرة. يُسلم الجسد إلى المتخصصين، تُصمم الجنائز بدقة، وتُمنح الأحزان فترات زمنية مضبوطة. في المقابل، يسعى هذا العمل إلى إعادة إدخال الموت في الحياة، لا بوصفه لحظة رعب، بل بوصفه جزءًا من دورة المعنى.

من العناصر اللافتة في هذا الكتاب أنه لا يفصل بين الفقد الواقعي والفقد الرمزي. بمعنى آخر، لا يركِّز فقط على كيفية التعبير عن موت الأشخاص الفعليين، بل ينفتح أيضًا على الحزن تجاه شخصيات خيالية، أو ذكريات، أو حتى صور رقمية. وبهذا، يتحدى فكرة أن الحزن يجب أن يكون دائمًا مرتبطًا بخسارة مادية، مشيرًا إلى أن الفقد يمكن أن يكون مُتخيَّلًا، ولكنه لا يقلُّ أثرًا وانفعالًا.

الكتاب أيضًا يعالج مفهوم "الذات ما بعد الوفاة"، ذلك الحضور الرقمي الذي يستمر في الوجود بعد الموت، من خلال الحسابات، والتفاعلات، والتذكارات الإلكترونية. وهو هنا لا يقدِّم فقط رصدًا لهذا الحضور، بل

يطرح سؤالًا مهمًا: كيف يُعاد تشكيل الذاكرة الجمعية والفردية عن الميت في العصر الرقمي؟ وما معنى أن تستمر صورة، أو كلمات، أو تسجيل، في العيش بعد غياب صاحبها؟

ما يميِّز هذا الكتاب عن غيره، أنه لا يسعى إلى تقديم نظريات نهائية أو إجابات قاطعة، بل يعرض لحالات، وتأملات، وأساليب فنية، متنوِّعة وغنية، تفتح أمام القارئ أبوابًا للتفكير، وللتفاعل، وللطرح. يلامس الكتاب حدود الفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم النفس والفن، دون أن يغرق في التعقيد النظري؛ مما يجعله مناسبًا للقارئ العام الباحث عن فهم أعمق لمعنى الموت في زمننا.

القيمة الحقيقية لهذا الكتاب تكمن في طرحه لأسئلة لا نطرحها عادة: هل الحزن يحتاج إلى شكل فني لكي يُفهم؟ هل يمكن للكوميديا أن تكون وسيلة للحديث عن الموت بجدية؟ ما الفارق بين أن تموت أمام جمهور في مسرح، أو أن تموت رقميًا على شاشة؟ كيف نرغب أن يُحفظ أثرنا بعد الموت؟ ومن يملك حق تحديد كيفية تذكرنا؟

الكتاب ليس فقط عن الموت، بل عن علاقتنا بالحياة من خلال وعيها بالفناء. إنه يدعو القارئ إلى التفكير في كيف يمكن للفن أن يكون لغة تعبيرية عن المشاعر التي يصعب التعبير عنها بالكلمات المجردة، وكيف يمكن للسرد أن يمنح الحزن صوتًا، وللغياب شكلًا.

إن التحولات الاجتماعية والنفسية التي شهدها العالم في العقود الأخيرة، خاصة في ظل الأزمات الجماعية مثل الجائحة العالمية (كوفيد ١٩)، أعادت تسليط الضوء على الحاجة الماسَّة إلى إنتاج معرفة جديدة حول الموت. ومع تزايد المسافة بين الإنسان والموت الواقعي، بسبب طغيان التقنية، وتغيُّر

أنماط الحياة، باتت الحاجة إلى استعادة المعنى أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى. من هنا، يقدِّم هذا الكتاب مساهمة ضرورية، لأنه لا يعيد فقط التفكير في الموت، بل يتيح أيضًا أدوات جديدة للتفاعل معه.

إن هذا الكتاب لا يقدِّم للقراء "كيفية الحزن"، بل يمنحهم مفاتيح للتأمل في أشكال الحزن التي ربما لم يُتَحْ لهم التفكير فيها. وهو بذلك لا يخاطب فئة واحدة، بل يوسِّع دائرته لتشمل كل من وجد نفسه في لحظة مواجهة مع الفقد، أو تساءل عن معنى أن يكون حاضرًا في عالم يغيب فيه الآخرون.

باختصار، هذا الكتاب ليس مجرد دراسة عن الموت، بل هو محاولة لإعادة اكتشافه في مرايا الإبداع، وتجلياته في الصور، والأصوات، والذكريات. إنه دعوة إلى أن نُصغي لما لا يُقال عادة، وأن نمنح أنفسنا لحظة تأمل في أكثر ما نتجنبه، وأكثر ما يمنح لحياتنا معناها: الفناء.

عماد العادلي